

قشعم في التاريخ

Les Qash'am dans l'histoire.

يقول الأعرابي «جشعم» بجيم كجعفر ، وفي مختصر مطالع السمود (ص ٢٧) عن القاموس أن قشعم لقب ربيعة بن نزار. وفي هذا المختصر « أن المشهور بين العرب أنهم (آل قشعم) من بني ماء السماء يعني من قحطان »
ويقال ابن قشعم لكل فرد من هذه الجمولة ولاسيما للشيخ منهم إذا ارادت الأعراب تعظيمه أو حكمت عن أيام مجد بيتهم . فابن قشعم علم لكل منهم كما يقال ابن سعود وابن رشيد وابن هذال وابن سويط في مثل هذه الحال . وآل سويط هم شيوخ الضفير منذ ثلاثة قرون على أقل تقدير وكان شيخهم في سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) وسنة ١٠٩٦ هـ (١٦٨٤ م) سلامة بن مرشد بن صويط (كذا) جاء ذلك في كتاب سمط النجوم الموالي في أبناء الأوائل والتوالي لمحمد الملك بن حسين المعاصمي المتوفى سنة ١١١١ هـ (١٦٩٩ م) وهذا الكتاب لا يزال محفوظاً وأبست نسخة من مجلد منه يتدنى بالمقصد الرابع وهي للكتبي نعمان الأعظمي في بغداد وكان قد جاد علي بها للمطالعة . وذكر تاريخ آداب اللغة العربية لبرجي زيدان (٣١٢:٣) نسخة من هذا المخطوط في الحزاة الخديوية ومنها نسخ منها تامة ومنها ناقصة في خزانة المتحف البريطاني والحزاة الأهلية في باريس وخزانة اليسوعيين في بيروت وخزانة الكتبي بريل في لندن .

نعود الى صدوقنا وإذا قالت المنتفق المراك (بكاف فارسية) فهي تريد في الفرات الواقع بين منحدر الحلة من جهة الشمال ومنحدر السماوة من جهة الجنوب وفي ذلك لواء الديوانية كله إلما يكن موضوع البحث خاصاً بالعراق برمته فتكون المنتفق قد تمسكت بفرد كلمة العراقيين الذين قال عنهما معجم البلدان « ... والعراقان الكوفة والبصرة ... » فما حفظ الأعراب للأعلام ولا تستشهم من شوارد اللغة !

وكان براد وقتا بالعراقيين قهقرنا العزيز وعراقي فارس . ويظهر أن هذا الاسم بالثنية بمعنى عراقنا وحده كان معروفاً في فارس حتى العهد الرابع من

القرن السابع عشر اذا صح ما قاله اورثاليوس في رحلته (١) التي جاء فيها في
س ٣٦٠ «... والمتعارف ان «عراق اثوز» يسمى «العراقيين» . وجاء في
«اوليا جلبي سياحة نامة ني» المطبوع في الاسطانة سنة ١٢١٥هـ المجلد ٤٠٧:٢
ما قوله في الخطبة التي قرئت بين يدي السلطان مراد الرابع بعد فتح بغداد
سنة ١٠٤٨ مولانا خادم الحرمين الشريفين ومولانا ملوك (كذا بمعنى ملك
او ان الاصل هو ملك ملوك فنسي المرتب الكلمة الاولى) العرب والعراقيين .

سألت الاعراب في المنفق عما يقصدونه بالعراقيين الواردة في لقب ابن
قشعم فجاء تعريفهم مطابقا لسقي الفرات الذي ذكرته وهو الذي يعرفونه بالعراك
وعلوا التشبه باحتمال قسمة ذلك السقي الى شمالي وجنوبي او الشرقي وغربي
ولكنني لا اظن بصحة قولهم هذا والاعراب ايضا حدس آخر هو ان العراقيين
هما ذاك السقي وما فوقه الى حد يجعلونه فلم يوقفونا على سبب التسمية وفاتتهم
المعرفة بان البصرة كانت احد هذا العراقيين في عهد بعيد جدا .

ويمكن لبعضهم ان يعللوا سبب تلقيب ابن قشعم بشيخ العراقيين توسعا يوم
كانت فارس مستولية على العراق وعلى وجه آخر انه اريد بهذا اللقب انه شيخ
برية الكوفة والبصرة لواقعة لعلماء حدثت في انحاء البصرة كان له فيها الظفر
والغلبة : قلت لعلماء لاني لا اقبل ما قاله في غاية المرام من امر مانع وانه محمد
وسعدون ابن الاخير منهما الذين عرفهم بانهم امراء آل قشعم اذ ان الصحيح انهم
نسوخ المنفق بلاشك ولاشبهة . او ان غزيرة (بفتح الغين وكسر الزاي وتشديد
الهاء المفتوحة وفي الآخر هاء) وهم آل رفيع انضم الراء وفتح الفاء) وآل حميد
انضم الحاء وفتح الميم) وساعدة (يكسر المعين) وآل ببيج (بالصغير) وغيرهم
استلقوا عليهم ذلك اللقب الضخم لما كان لابن قشعم من السلطة والثروة والاسما
على ضفتي الفرات وبالاخص على الغربية منهما حسبما روت كتب التاريخ العربية
والتركية والفارسية .

ولقد بقي على الفرات لهذا البيت رسم من تلك الايام الفارسية حفظها المدينة

(١) الترجمة الفرنسية طبعه باريس سنة ١٦٦٦م

Relation du voyage d'Adam Orealius en Moscovie, Tartar et Perse...Nouvelle éd. 1666.

للأرض الزراعية المسماة «المنافقة» الواقعة في لواء الحلة وهي مربوطة بقضاء مركزها. وعائنة (كنسابة) الواقعة هنالك كانت لهم أيضا.

نسب لي عقاب ابن قشعم شيخهم الحالي نفسه وهو في أول الشيخوخة من العمر فقال: أنا عقاب بن صقر بن ثويني بن عبدالعزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن ناصر بن مهنا بن سعد بن غزي (بكر النسيب كسرا غير واضح وزاي مشددة مكسورة) الذي نزع من نجد إلى ديار العراق، وبين من عداياته الذين ذكرهم أن قدوم حوالته إلى العراق كانت حوالي منتصف القرن السادس عشر. وأول ذكر عرفته عنهم لا يعتمد على العقد الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة (١٦٠٢-١٦١١م) كما روي لنا ذلك كفنن خلقا بالتركية (مؤلفه نظمي زاده مرعشي افندي من رجال القرن الثاني عشر للهجرة) وغيره من الكتب. وإذا جرنى الكلام إلى تقويم نسب عقاب فليست مسجلة في الموضوع فلا بأس من إيراد كلام عن بعض أجداد عقاب.

أن لناصر المهنا ذكرنا بينا في كتب التاريخ الثلاثة ولا سيما في كتاب عالم آراي عباسي لاسكندر بك تركمان من رجال القرن الحادي عشر وهو مطبوع في طهران سنة ١٣١٤ (١٨٩٦م)

وذكره من الأوربيين تكسيرا فتمتد «ملك عربي» في رحلته المرحلة إلى الأنكليزية في ص ٥٣ The Travels of Pedro Teixeira... London 1902 فقال «أن هذه البلدة (مشهد الحسين أي كربلا) ومشهد علي والتجف لا شرف هما تابعتان لمير (الأمير) ناصر وهو ملك عربي رائد للاتراك يعيش في أعالي تلك الأراضي» اهـ

وقال في ص ٧٢ بتاريخ ١٣ كانون الأول سنة ١٦٠٤ (١٦٠٣هـ) «وبعد أن سرنا فرسخا ونصف فرسخ حططنا لدفع الرسوم التي يجب دفعها إلى المير ناصر وهو ملك عربي من عشيرة ابن أمانة Emana وهو - كما مشهد علي ومشهد الحسين - وما أمانة إلا تشويه «منها» إذ يصعب على سائح أن يضبط الأعلام وهي غريبة عنه.

وذكر ناصر أيضا ديفا Valle Delfa في رحلته الشهيرة (١٦١٦م).

(١٦٢٥) في عدة مواضع جاء فيها في سنة ١٦١٦م (١٠٢٥هـ) ماتعربيه من رسالته السابعة عشرة المؤرخة في ١٠ كانون الاول سنة ١٦١٦م (١) « فبتما في بئر النض (اي بئر النصف بين بغداد والحلة) ... وبعد مرورنا بيومين نهبت قافلة هناك او بمقربة من ذلك المكان . نهبتها جماعة قوية من الاعراب . اما اثنا فله من سطي - فضلا عن اني لم ار احدا من هؤلاء - لقيت احد كبار قواد بغداد كان قد قدم الى هنا قبلي بامر من الباشا ومعهم نيف ومائتا فارس ليستميل شيخا ومعه حبه الى بغداد وهذا الشيخ هو قائد من قواد الاعراب - وان شئت فقل اميرا من اميرائهم واني لاظن ان اميرا لانه من عداد الذين يهجون الاثر في النفع . والقرض من طلب محييه الى بغداد هو حشد القوي فيها للشروع بعدئذ بحجارة ملك فارس وتد كثر قلند بغداد من فرسانه زيادة في تعظيم هذا الشيخ .

وكن يسمى هذا الشيخ او الامير ناصر بن مهنا لانه ابن مهنا او مهنا بن مهنا ... »

وذكر المؤرخ اسكندر بك وديلا قاله ابن نياصر ابنا اسمه ابو طالب: وقال ديلا قاله إنه كان قد قام مقام امير المتقدم في السن .

قال روسو قنصل فرنسة في بغداد في رحلته ١٨٠٨م من بغداد الى حلب Voyage de Bagdad à Alep par J. B. Louis Jacques Rousseau 1808, Paris 1899.

في ص ١٣٦ ما تعربيه

« فمررنا ببيعة على الفرات ... فرأينا على الضفة (المائلة) جبل اودي (Baid) وعلى منتها شيئا كالقبعة قيل لي انه قبر ناصر المهنا بن قشعم . وسمعت الاعراب انه من اصحاب الكرامات » . ولا تزال ذكرى ناصر على السنة للاعراب تاجع بسدحه والثناء على اخلاقه ورفعة مقامه .

وذكر كنعان كتاب غاية المراد في تاريخ محاسن بغداد دار السلام (مخطوط) لياسين بن خير الله العمري وكانت ولادة المؤلف سنة ١١٥٨ (١٧٤٥م) قال فيه « وفي سنة ١٠٧٥هـ (١٦٦٤م) عين السلطان لفتح مدينة الحما (الاحساء) الامير يدني اغا وكنعان امير قشعم فساروا [كذا اي فساروا] الى الاحساء فقاتلوهم [كذا]

بنى [كذا] خالد ثم هرب أميرهم براق « الا [واظنها براك] فتبع البلوت شديد
الراء وكاف عربية في الآخر وهذا الاسم من اسماء الأعراب ولا اعرف لهم
براق بقاف] .

وجاء في هذا المخطوط ما قولنا عن صقر الاول . والحرب سجال « وفي
سنة خمسين [بعد المائة والالف] سار [الوالي احمد باشا] من بغداد بالعساكر
وحارب عرب قشعم فهرب اميرهم صقر وغنم عسكر بغداد وحما [كذا اي حمى]
احمد باشا بيت صقر من النهب ثم صالحه وعفر [كذا] عند وندح احمد باشا
احد الفضلاء السيد عبدالله فخر [فخرى] زادنا بقصيدة طنبانة منها قوله :

عقاب الوغى لما بدا طار صقرهم لدى حيث القت رحلها أم قشعم
وردت هذه القصيدة واياتها ثلاثة وعشرون في حديقة الزوراء تشبه
عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله السويدي (مخطوط) اقول هذا عن مختصرها المخطوط
ايضا للاديب سليمان آل الدجيل قائم مقام الجبايش في لواء المنتقى في وقتنا الحاضر
وهذه النسخة موجودة في خزانة الآباء الكرملين في بغداد ، وقد نقل هذا المختصر
ثلاثة ابيات من القصيدة جاء منها البيتان الاولان في مجلة المشرق ١٦ [١٩١٣] ١٧٢
بوصفها ديوان الناظم « فخرى زاد » .

والصحيح ان هذه الواقعة كانت سنة ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) على ما ضبطها الشيخ
عبدالله السويدي في آخر بيت من قصيدة له امتدح بها الوالي احمد باشا على ما جاء
في مختصر حديقة الزوراء . قال الناظم ابو مؤلف الحديقة :

ان يضق رحب الصحارى اوشوا هل اصقر في صحارى الهول وكر

— ١١٥٢ —

وما يؤيد صحة ورود هذه السنة رواية دوحه الوزراء واظن ان مؤلفها قد
نقل عن السويدي على ما بين من عبارات سابقها المؤلف في مقدمة كتابه .
اتفق مختصر حديقة الزوراء ودوحه الوزراء على تعيين السنة لكنهما اختلفا
على صقر اختلافا طفيفا اذ قال المختصر « صقر المسمى سعدا » وقالت الدوحة
عن صقر « عم الشيخ » واما غاية المرام فانه اكتفى بقوله « صقر » ولم يزد
ويمكن تحليل قول المختصر « صقر المسمى سعدا » باجد الوسيهي فلما لكون صقرا

من أحقاد سعد بن عزي أو لأنهم أرادوا بذلك الكناية عن الصقر الذي يقلله
« طير السعد » .

ولم يهمل التاريخ عبدالعزيز وشيب ابني حبيب فان علي باشا كتبها والي
بغداد غزا آل قشعم في سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م) وكان كل من عبدالعزيز وشيب
شيخا على فريق منهم فلم ينل مرامه فاضطر الى الاستمالة والباس الخلع ثم عاد
الى بغداد (١)

هذا قليل من كثير مع ما توسعت في المقال . ونرى ان آل قشعم عشيرة
خاملة الذكر فيها العرب الاصحاح من جهة الوالدين وفيها انساب شيدها المتشعبين
قرعى ابها فيلواء المنتفق على الغالب ولم يبق عليها مسحة مما مضى واقدمة مختها
الموادي مسحا .
بعقرب نعوم سر كس

اصل علامة الاستفهام عند الاقرج

وعلامة الحنف عند الاسابيين

Origine du signe ? dans l'interrogation.

الاقرج يستعملون في آخر عبارتهم الدالة على الاستفهام هذه العلامة ؟ فما
اصلها ؟

الذي عندنا انها حرف «س» العربي منكوس الوضع ، وهو مقطوع من كلمة
«استفهام» . كأنهم يشيرون الى ان العبارة هي عبارة سؤال لاجابة انبار . وكان
كتاب العرب يتقنون في وضع علامات على الحروف او تحتها او بعدها للاشارة
الى ما يريدونه من الملاحظات التي تبدو لهم في أثناء المطالعة .

والاسابيون يستعملون المدة اي هذه العلامة . فيضعونها فوق بعض الحروف للاشارة
الى حنف هناك فيكتبون مثلاً *Dona* للاشارة الى انها مقطوعة من *Domina* وهذه

الاشارة هي في الاصل ميم عربية اي مر وتعني «محدوف» اذا وضعت على غير
الالف اما اذا وضعت على الالف فمعناها «ممدود» فهذه من مفعول مصطلحات
كتابنا على كتابهم ونحن لا ندرى ذلك كما هم لا يريدون ان يعرفوا همتين
الحقيقتين !